مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٩) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٩) 2023

توظيف المعتقدات الشعبية في قضايا الصحة والمرض
"دراسة أنثروبولوجية في محافظة طرطوس"

د. هند العقيبة*

علا حسن غانم**

(تاريخ الإيداع ٩/٢١ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١١/٢٨ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

تناولت الدراسة عدة محاور أساسية، وكان أولها التعريف بالمعتقدات الشعبية المتعلقة بقضايا الصحة والمرض وبأنواعها، وإبراز الدور النفسي والاجتماعي الذي تؤديه هذه المعتقدات في حياة المريض، والكشف عن طبيعة العلاقة بين المعتقدات الشعبية وبين قضايا الصحة والمرض من خلال تسليط المزيد من الضوء على كيفية توظيف هذه المعتقدات الشعبية للتصدي للأمراض وعلاجها أو الوقاية منها ولزيادة الوعي الصحي، وبالتالي تحسين الوضع الصحي لأبناء المجتمع.

جرى التركيز على كيفية التوظيف لأنماط المعتقدات الشعبية المرتبطة بقضايا الصحة والمرض الأكثر تداولاً وانتشاراً في مجتمع البحث، كالمعتقدات المتعلقة بالقرآن الكريم، وزيارة مقامات الأولياء الصالحين، وبرمل البحر، وتوصلت الدراسة إلى اعتقاد معظم أفراد مجتمع البحث ذكوراً وإناثاً على اختلاف مستوياتهم التعليمية والعمرية، بفاعلية المعتقدات المتعلقة بالصحة والمرض، كالعلاج بالأعشاب الطبية، والعلاج بالقرآن الكريم، وزيارة مقامات الأولياء الصالحين.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا الطبية، المعتقدات الشعبية، الصحة، المرض.

[١] *أستاذ مشرف في قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة تشرين
[٢] **طالبة ماجستير في قسم علم اجتماع – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة تشرين

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٩) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٩) 2023

Employing popular beliefs in issues of health and disease "Anthropological Study in the city of Tartous"

Dr. Hind Alokaiba*
Ola Hasan Ghanem**

(Received ٢١/٩ /٢٠٢٣. Accepted ٢٨/١١/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

The study dealt with several main themes, the first was the definition of issues of health and disease through its relationship to popular beliefs, which we, in trun, introduced to them and their types, and to highlight the psychological and social role they play in the patient's life, through the foregoing m we were able to reveal the nature of the relationship between popular beliefs and issues of health and disease by shedding more light on how to employ these beliefs to address, treat and prevent diseases and to increase health awareness and thus improve the health status of members of society.

We are focus on how to employ the popular belief patterns associated with health and disease issues that are most frequently discussed and prevalent in the research community.

Such as beliefs related to visiting the shrines of the righteous saints, and belies related to the treatment of ironing, cupping, sea sand.

Keywords: Anthropology medical, popular beliefs, health, disease.

[3] *Asistant professor in the Department of Sociology at Tishreen University.
[4] **Master,s student in the Department of Sociology at Tishreen University.

أولاً: الإطار المنهجي:

المقدمة:

اكتسبت المعتقدات الشعبية أهميةً كبيرةً في تنظيم حياة الإنسان، وتعويده على ممارسة أنماط سلوكية وأنشطة اجتماعية يومية ذات طابع نفسي واجتماعي، صحي ووقائي أيضاً، فهي تعد بمثابة المرشد نحو أنماط وأنساق اجتماعية وثقافية وصحية تعكس نظاماً اجتماعياً متكاملاً.

وهذه المعتقدات تقوم بالأصل على البعد الثقافي الذي يكشف عن قدرة الإنسان على بناء علاقة مع كل ما يحيط به وترويضه لخدمته، وقدرته التخيلية الكبيرة التي تجعله قادراً على إيجاد وسائل تفسيرية لكل ما يدور حوله، فالإنسان منذ وجوده على الأرض بدأ يكيف حياته على المعتقدات البسيطة، يراقب ويلاحظ الظواهر المحيطة به، ويحاول إيجاد تفسير لها، ومع مرور آلاف السنين استطاع الإنسان تحديد رؤيته الخاصة لهذه الحياة وحاجته لها بدافع الرغبة في القدرة على مواجهة الأحداث الطارئة، وذلك بوصف هذه المعتقدات كمسلمات متوارثة جيلاً بعد جيلٍ، فمن طبع الإنسان بشكل عام أنه يقوم بتفسير الأحداث من أبسط المواقف ويرى العالم من حوله من خلال معتقدات شعبية بسيطة، الأمر الذي أدى بدوره إلى تأصل وترسخ تلك المعتقدات في صدور الناس، إذ أثبتت معظم الدراسات الأنثروبولوجية التي تم الاطلاع عليها أن الأفراد يلتمسون من خلال المعتقدات الشعبية الحل للكثير من المشكلات التي تعترضهم بشكل يومي بما فيها المشاكل الصحية، وأكدت هذه الدراسات على التأثير النفسي والاجتماعي الإيجابي الذي تحدثه المعتقدات في أوساط المعتقدين بها، وبذلك تترك شعوراً بالرضا والطمأنينة.

والمعتقدات الشعبية مرتبطة بحياة الإنسان ارتباطاً وثيقاً لما لها من سلطة قوية على الأفراد والمجتمعات على حد السواء، فمن دون أن يعرف الأفراد أصل هذه المعتقدات ولا مدى صحتها، أصبحت تتحكم فيهم وتحدد سلوكهم تجاه الكثير من القضايا الحياتية، فيخضعون لها بكامل إرادتهم ويمارسونها بكل تلقائية في حياتهم اليومية، وخاصة في مجال الحفاظ على الصحة باعتبارها الشغل الشاغل لجميع الأفراد منذ وجودهم.

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: بعنوان (الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية)، مختار، رحاب (٢٠٠٨).

لعل أهم أهداف هذه الدراسة هو معرفة وإيضاح العلاقة الوثيقة بين الصحة والمرض والنسق الثقافي والاجتماعي لأي مجتمع، ودراسة الأحوال الصحية والتعليمية السائدة، ومعرفة طرق الاستجابة للأمراض وطرق الوقاية منها وأساليب العلاج.

وكانت العينة مجموعة من الذكور والإناث بمختلف أعمارهم ومستوياتهم العمرية والتعليمية والاجتماعية في منطقة المسلية في الجزائر.

واستعانت الباحثة بمجموعة من الأدوات: كالمقابلة والملاحظة والاستمارة، واعتمدت المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المدروسة.

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج وأهمها: أن هناك علاقة وثيقة بين المجتمع والطب والصحة والمرض، وأن مكونات الأنساق الثقافية للمجتمعات الإنسانية هي التي تحدد أنماط الاستجابات التي تصدر من الناس اتجاه المرض عند حدوثه.

الدراسة الثانية: بعنوان (أشكال الطب الشعبي بمنطقة الزيبان بسكرة)، بوغديري، كمال (٢٠٠٩).

هدفت الدراسة إلى:

١- التعرف إلى الممارسات الشعبية المتوارثة في منطقة الزيبان بسكرة.

٢- التعرف إلى أشكال الطب الشعبي الطبيعي والغيبي في منطقة الزيبان بسكرة.

٣- التعرف إلى طبيعة العلاجات التقليدية التي يستعملها الناس في منطقة الزيبان بسكرة.

وكانت العينة مجموعة من الأفراد ذكوراً وإناثاً من منطقة الزيبان، ومجموعة من الأطباء الشعبيين في هذه المنطقة.

استخدم الباحث مجموعة من الأدوات لجمع البيانات وهي: الملاحظة، الملاحظة بالمشاركة، المقابلة، الإخباريون، السجلات والوثائق، أجهزة التسجيل الصوتي، التصوير الفوتوغرافي.

و استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته.

توصل الباحث إلى مجموعة نتائج وهي: أن الطب الشعبي كممارسة علاجية تقليدية متأصل ومتداول بين سكان منطقة الزيبان، كما كشفت عن أشكال وأساليب العلاج بالطب الشعبي وهي العلاج الشعبي الطبيعي مثل التداوي بالأعشاب وتجبير الكسور لدى المجبر، والعلاج بالكي، والعلاج الشعبي الغيبي مثل كتابة الأحجبة القرآنية وزيارة أضرحة ومقامات أولياء الله.

الدراسة الثالثة: بعنوان (التمثلات الطبية ودورها في توجيه الممارسات العلاجية في المجتمع التبسي –كوفيد ١٩- أنموذجاً)، بدر الدين، مسعد، (٢٠٢٢).

هدفت الدراسة إلى محاولة الفهم الحقيقي للصحة والمرض، وكيفية العلاج لمعرفة ما يحمله المجتمع المدروس من دلالات وتمثلات حول الصحة والمرض.

واستخدم الباحث المنهج الأثنوجرافي الذي يساعد في البحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع، كما استعان الباحث بمجموعة من الأدوات لجمع المعطيات كالمقابلة، **و**كانت عينة الباحث قصدية لإجراء مقابلات مع بعض أفراد المجتمع التبسي الذين تعافوا من مرض كوفيد ١٩.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: بعض المبحوثين كان تفسيرهم السببي للمرض يعود إلى اعتقادات شعبية ودينية كالعين والحسد والعقاب، وأن التصورات والخلفيات الطبية لها دور في توجيه الممارسات للوقاية من مختلف الأمراض، كما أن السلوكيات العلاجية كالتغذية السليمة والنظافة والتداوي بالأعشاب والرقية كانت ناجحة في علاج مرض كورونا.

الدراسة الأجنبية:

وكانت بعنوان **(التحليل الاجتماعي والثقافي لممارسة الطب التقليدي)، بن حركات، آسيا،(٢٠١٥).**

هدفت الدراسة إلى الفرضيات الفرعية:

- يمارس الطب التقليدي بدرجة أكبر في الوسط الريفي أكثر من الوسط الحضري.
- يمارس الطب التقليدي بدرجة أكبر لدى النساء أكثر من الرجال.
- الطب التقليدي واسع الانتشار عند الأميين أكثر من المثقفين.

وكانت العينة مجموعة من الذكور والإناث من الريف والمدينة، ومجموعة من الأطباء الشعبيين من محافظة قسنطينة.

استعانت الباحثة بمجموعة من الأدوات كالمقابلة والاستمارة، واعتمدت المنهج الوصفي والمنهج الوظيفي في دراستها.

وأما عن نتائج الدراسة فكانت كالآتي: توصلت الباحثة من خلال دراستها إلى أن الطب التقليدي يمارس بنحو مرتفع في الوسط الريفي أكثر من الوسط الحضري، ويستخدمه الأُمِّيون والمثقفون على حد السواء، كما توصلت الباحثة إلى أن النساء يمارسن الطب التقليدي بشكل مرتفع عن الرجال.

التعقيب على الدراسات السابقة:

لقد تشابهت الدراسات السابقة مع دراستنا الحالية في وصف المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض، والممارسات العلاجية المرتبطة بالمرض ، بينما أضافت دراستنا الحالية الكشف عن أسباب الأمراض من وجهة نظر المعتقد الشعبي بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث، والتركيز على الدور الوظيفي الذي تؤديه هذه المعتقدات بالنسبة إلى المعتقدين بها، وهذا ما يميز الدراسات الأنثروبولوجية عن غيرها من الدراسات الاجتماعية، فهي تبحث عن أسباب المرض والطرق العلاجية من وجهة نظر الإنسان وليس من وجهة نظر العلم بغض النظر عن مدى صحة ذلك، منطلقين من إبراز علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وتأثيرها على طريقة تفكيره وأنماط سلوكه، وهل حققت هذه المعتقدات والممارسات المرتبطة بها نتائج إيجابية لأفراد المجتمع.

مشكلة البحث:

لقد لجأ الإنسان في مرحلة ما من مراحل حياته إلى المعتقدات نتيجة سيطرة الجهل، وعدم قدرته على تفسير ما يحيط به من ظواهر وأحداث، فأي حدث مهما كان بسيطاً كان يثير خوفه وقلقه، ويرجع سببه إلى الاعتقاد بوجود القوى الشريرة، والخارقة للطبيعة وغيرها، لذلك نجد الإنسان في بداياته وقف عاجزًا مذهولاً أمام ظواهر الطبيعة ومظاهر الحياة كالولادة والموت والعواصف والطوفان والأمراض وغيرها.

وتمثل الصحة الشغل الشاغل الذي استأثر على تفكير الأفراد منذ الأزل لما لها من تأثير في قدرة الأفراد على متابعة أعمالهم اليومية، لذلك سعى الإنسان دائماً للحفاظ عليها من خلال تبني بعض المعتقدات التي تمكنه من ذلك، كاتباع نظام غذائي متوازن، واستخدام بعض الأعشاب الطبية التي تتميز بالعديد من الفوائد الصحية، وقراءة القرآن الكريم لما يبعثه في النفوس من هدوء وطمأنينة، فالصحة لا تقتصر على صحة الجسد فقط بل تشمل الصحة العقلية والاجتماعية والنفسية، إذ قدمت المنظمات العالمية مفهوماً واضحاً للصحة، ومنها منظمة الصحة العالمية "**O.M.S**"، حيث عرفت الصحة بأنها: " حالة الاكتمال الجسمي والعقلي والاجتماعي، وهي لا تعني مجرد الخلو من المرض أو العاهة" ((O.M.S, 1980, P(11)).

كما يعد المرض من الظواهر التي أثارت قلق الإنسان وخوفه على مر العصور نتيجة الجهل بأسبابه ونتائجه ومضاعفاته، مما دفع الإنسان إلى تبني معتقدات خاصة به تدور في ذهنه لعلاج الأمراض وأحياناً لا تمت إلى الواقع بصلة، وإنما تتناسب ومرحلة التفكير والظروف البيئية والاجتماعية التي عاشها في تلك المرحلة، فكان الاعتقاد بأن القوى الشريرة قد حلت في جسم المريض، وكان الطبيب الساحر أو الشامان موكلاً بإخراج الأرواح الشريرة من هذا الجسم من خلال اتباع ممارسات قاسية قد تؤدي أحياناً إلى موت المريض.

ونحن اليوم في عالم التطور التقني والتكنولوجي الذي مكن الإنسان من الكشف عن كثير من الخفايا والظواهر والأحداث بما في ذلك أسباب حدوث المرض وطرق علاجه، ولكن نجد أنفسنا أمام تناقض كبير بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وتشير الملاحظات الأولية إلى أن المعتقدات وما يرتبط بها من ممارسات يحظى بحضور لافت في حياتنا اليومية، على الرغم من خطورة بعض المعتقدات والممارسات المرتبطة بها فيما يتعلق بموضوع الصحة، وأن استمرار مثل هذه الممارسات قد ينعكس انعكاساً سلبياً على صحة الفرد والمجتمع.

ويحاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال الرئيس: لماذا يلجأ الفرد في المجتمع إلى تبني معتقدات شعبية خاصة بالصحة والمرض وممارسة طقوس معينة في سبيل علاجه رغم التقدم العلمي والتطور التقني في عصرنا الحالي؟.

ويتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما هي المعتقدات الخاصة بأسباب المرض من وجهة نظر أفراد مجتمع البحث؟
٢- ما هي الممارسات الخاصة بشفاء الأمراض التي يمارسها أفراد مجتمع البحث؟
٣- ما هي الممارسات الخاصة للحفاظ على الصحة؟
٤- ما هي الوظائف التي تؤديها المعتقدات بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث ؟

أهمية البحث:

الأهمية العلمية: إن تصميم هذا البحث الخاص بالمجتمع المحلي المدروس يعدُّ مسألة مهمة وملحة لربط قضايا الصحة والمرض بالمعتقدات الشعبية السائدة في هذا المجتمع، إذ يعاني مجتمعنا من النقص الكبير في الدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة الحالية، والتي تحتاج إلى التعاون وتضافر الجهود لتطوير العمل المشترك نحو قضايا الصحة والمرض باعتبارها أهم الأمور التي استحوذت على تفكير الأفراد وأثارت اهتمام الكثير من الباحثين.

الأهمية العملية: تكمن الأهمية العملية للدراسة الحالية في أهمية المعتقدات الشعبية في حياة الأفراد، وتأثيرها على حياة الأفراد في المجتمع، ولجوئهم إلى هذه المعتقدات فور حدوث المرض، وباعتبار المرض والصحة من أهم القضايا التي شغلت بال الناس منذ القدم وسيطرت على تفكيرهم، وذلك لمعرفة الوظائف التي تؤديها المعتقدات الشعبية في مجال الصحة والمرض، والكشف عن أهم الممارسات والطقوس الثقافية المنتشرة لدى أفراد مجتمع البحث من أجل الحفاظ على الصحة وعلاج الأمراض أو الوقاية منها.

أهداف البحث:

١- التعرف إلى أهم المعتقدات الثقافية السائدة في مجتمع الدراسة، التي يتم توظيفها في قضايا الصحة.
٢- التعرف إلى الوظائف التي تؤديها المعتقدات بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث.
٣- التعرف على كيفية توظيف المعتقد في الحفاظ على الصحة وعلاج الأمراض بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث.
٤- التعرف إلى تأثير البيئة الاجتماعية في تبني المعتقدات بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث.
٥- التعرف إلى أسباب المرض بحسب المعتقدات الشعبية بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث.
٦- رصد أهم الممارسات السلوكية المتبعة للحفاظ على الصحة بالنسبة إلى أفراد مجتمع البحث.

منهجية البحث:

١-**المنهج الأنثروبولوجي:** وهو منهج شامل لدراسة الإنسان ومظاهر حياته المعقدة، ولا يقتصر اهتمامه على دراسة تكوينه الفيزيقي فقط، وإنما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي البعيد أو الماضي القريب أو الحاضر، ويهتم بدراسة وفهم المعتقدات الشعبية التي يعتقد بها أفراد المجتمع .

٢-**المنهج الوصفي:** الذي يعتمد على وصف الظاهرة المدروسة، وتحليل الدور الوظيفي الذي تؤديه هذه الظاهرة تحليلاً كيفياً، وهذا ما تركز عليه الدراسات الأنثروبولوجية، وذلك في محاولة لوصف المعتقدات الشعبية والممارسات المرتبطة بها وتحليل دلالاتها ووظائفها النفسية والاجتماعية والدور الذي تؤديه هذه المعتقدات.

أدوات الدراسة:

١- **الإخباريون:** وهم مجموعة من الأشخاص المسنين الذين يعيشون في مجتمع البحث من الذكور والإناث، ولديهم خبرة كبيرة ومعلومات ثرية حول موضوع دراستنا قدموها بكل شفافية ووضوح.

٢- **الملاحظة بالمشاركة:** وهي طريقة منهجية أتاحت لنا معرفة الممارسات الشعبية التي تفرزها المعتقدات الشعبية المتعلقة بقضايا الصحة والمرض، وذلك عن قرب وبكل وضوح وخاصة في مجال التداوي بالطب الشعبي، والأعشاب الطبية، وبزيارة مقامات أولياء الله الصالحين، و بالرقية، وبالقرآن الكريم، ومكنتنا من الملاحظة الدقيقة لهذه السلوكيات التي تجسدت أمامنا بشفافية.

٣- **الملاحظة المباشرة:** كما تم جمع البيانات عن طريق الملاحظة المباشرة لتعايش الباحثة في مجتمع البحث، وساعدت هذه الطريقة بنحو كبير على فهم موضوع الدراسة بدقَّة ووضوح، وخاصة السلوكيات والممارسات الشعبية العلاجية من خلال مشاهدة الأسلوب العلاجي الشعبي الذي يمارسه المعالجون الشعبيون، ومشاهدة كيفية تأويل المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض إلى سلوكيات وممارسات اعتقادية.

٤-**المقابلة الموجهة:** حيث يتم طرح السؤال والإجابة عنه من المبحوث مباشرة، وسؤال المبحوث في حال وجود إجابات أخرى لديه، من خلال إفساح المجال ليجيب كما يريد من دون أية مقاطعة، وأخذت تلك المقابلة شكل المقابلة الفردية والجماعية، وذلك بهدف التعرف إلى المعتقدات الشعبية المتعلقة بقضايا الصحة والمرض التي يعتقد بها أفراد العينة، وبهدف فهم طريقة الممارسات الاعتقادية التي يقوم بها في حال إحساسه بالمرض، والكشف عن الأنماط العلاجية الشعبية الأكثر انتشاراً وتداولاً.

مجالات البحث:

المجال الزماني: (٢٠٢٢- ٢٠٢٣).

المجال المكاني: مدينة طرطوس.

المجال البشري: ٣٠من الذكور و٤٠من الإناث من مدينة طرطوس الذين تمت مقابلتهم، وهم من الفئة العمرية ٢٥ سنة وما فوق، ومن مختلف المستويات التعليمية والاقتصادية ومختلف الحالات الاجتماعية.

تحديد المفاهيم والمصطلحات:

الأنثروبولوجيا الطبية (Medical Anthropology): هي ذلك الفرع الثقافي البيولوجي الذي يعنى بالمفاهيم البيولوجية للسلوك الإنساني، وتحديداً بالطرق التي من خلالها تتم عملية التفاعل بين ما هو ثقافي وما هو بيولوجي في جميع مراحل التاريخ الإنساني، وتأثيرها على مفهومي الصحة والمرض" ((Foster, G. M. and Anderson, 1978, pp.(2-3).

المعتقدات الشعبية (popular beliefs): " شأن جمعي لأكثر من سبب، فأولاً من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، بما يستدعي ذلك من سلوك وأفعال سوف تتضارب حتما مع ما يبادر به الآخرون، وثانياً أن دوام الاستمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد به وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه" (السواح، ٢٠٠٢، (٢١٨)).

المرض: "حالة من حالات التغير غير السوي أو الطبيعي في بناء أو وظيفة أي جزءٍ من أجزاء الإنسان" (الدويبي، ١٩٨٩، (٥٥)).

الصحة: "حالة التوازن بين وظائف الجسم وأن هذا التوازن يتنج من تكييف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها" (الصفدي، ٢٠٠١، (١٣)).

الإطار النظري:

١- مفهوم المعتقدات الشعبية:

إن المعتقدات الشعبية لها صلة بعمق الطبيعة البشرية، وتعم جميع المستويات فتراها عند الأمي والمتعلم وعند الأغنياء والفقراء على حد السواء، ويرجع السبب في ذلك إلى التفكير البسيط الذي يخلو من المعرفة العلمية الدقيقة لدى العوام من الناس، وما يؤكد على ما ذكرناه هو قول **سعيد حمزاوي** في كتابه **(صورة المرأة في المعتقدات الشعبية):** "المعتقدات الشعبية هي أول أشكال التعبيرات الجماعية للخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز الانفعال الذهني، وهي كل ما يؤمن به الشعب من أفكار تتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي" (حمزاوي، ٢٠٠٦، (٧٩)).

و أما المعتقدات والمعارف الشعبية: فيعرفها فاروق أحمد مصطفى بأنها: ما " يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي، وتتميز هذه المعتقدات بخصائص مميزة منها أنها من أكثر ميادين التراث الشعبي معرفة بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بالأفكار الأساسية، كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس، وعن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية" (مصطفى، ٢٠٠٨، (٧٩)).

لقد تنوعت مواضيع المعتقدات الشعبية بين السحر والحسد والتقرب إلى الأولياء الصالحين و تفسير الأحلام والرقية والحجاب والطب الشعبي كالتداوي بالأعشاب والكي والحجامة وغيرها، أي أنها ارتبطت بكل ما هو موجود في العالم، وليس هذا فحسب بل حظيت أيضاً بنصيب كبير من الانتشار والقبول فتجمع الأفراد حول هذه المعتقدات ووظفوها في مجالات حياتهم المختلفة.

ومن الجانب الصحي فإن المعتقدات الشعبية لعبت دوراً في تحديد أشكال التغذية وقواعدها، فهي مثلاً تحث على الرضاعة الطبيعية والابتعاد عن تناول السكريات وشرب الكحول وتحذر من مضار التدخين وغيرها من العادات الصحية السليمة، ويمكن الانتفاع بنتائجها لتوجيه الحملات الصحية توجيهاً واعياً، كما يمكن أن

تفيد في تنمية ما هو مفيد من الممارسات الشعبية وما يمكن أن يكون منها عاملاً من عوامل التغلب على الأمراض بحيث يتعاون هذا الجانب مع أهداف الطب الرسمي، خاصة أن وسائل العلاج الشعبي أخذت تتقدم مع تقدم الإنسان في دراسة الأعشاب والنباتات وتبني الطب الحديث لبعض أساليب العلاج الشعبي.

ولفهم كافة المعتقدات والممارسات الصحية في ثقافة أفراد مجتمع البحث، يجب التعرف إلى تصورات ورؤى هؤلاء الأفراد التي انبثقت من تلك المعتقدات، وبالتالي نفهم في ضوئها ما يتصل بالنماذج الطبية الحديثة وأنماط الطب الشعبي السائدتين في مجتمع الدراسة، لإدراك مدى تأثر الأفراد بها وإلى أي مدى يتم التعامل معها.

وفي ضوء التصورات والمعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة التي نشأ عليها الإنسان، والتي ليس أدل على جديتها من سلطتها وسيطرتها على جميع جوانب الحياة بشكل عام والجانب الصحي على وجه الخصوص، تم التركيز على المحور الأساسي في رؤى وتصورات الأفراد حول قضايا الصحة والذي يتمثل بنمط الحياة، فإذا تمعنا بالنظر إلى نمط الحياة لوجدنا أنه هو من يحدد الحالة الصحية للأفراد، وليس أدل على منطقية هذا الكلام من ارتباط معظم أمراض العصر من مرض القلب والسرطان والسكري والضغط والقولون العصبي وبعض الأمراض النفسية وغيرها من الأمراض بنمط الحياة من نوع الغذاء والضغوط النفسية والنظم الصحية الخاطئة.

٢-المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض :

يلاحظ انتشار وسيطرة المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض على أفكار وسلوك أفراد المجتمع المدروس والتي ما يزال لها تأثير قوي، إذ يعتقد الكثير من الأفراد في فعالية اتباع معايير صحية معينة وأن لها تأثيراً كبيراً في إبعاد الخطر الناجم عن تهديد صحي معين، كالإقلاع عن التدخين مثلاً الذي من شأنه أن يقلل الإصابة بسرطان الرئة، كما يعتقد الكثير من الأفراد في أهمية وفعالية الوقاية لتقليل الإصابة من المرض، كالتقليل من كميات السكريات التي يتناولها الفرد تقيه من الإصابة بمرض السكري عندما يتقدم في العمر.

لذلك "تعد المعتقدات الشعبية بمثابة السلطة الآمرة ذات التأثير القوي في حياة الأفراد في شتى جوانب الحياة وخاصة فيما يتعلق بالصحة والمرض، فالمعتقدات تؤثر بوضوح في تمثلات الأفراد للصحة والمرض، كما تؤثر في تشخيصهم للمرض وتفسيرهم لأسبابه وفي اختيار طرق العلاج المناسبة، فهناك بعض المعتقدات تعزو حدوث المرض للعين الشريرة وأخرى تعزوه إلى تأثير الجن وغيرها إلى السحر" (مختار، ٢٠٠٨، (٧٦)).

وهناك اعتقاد يقول بأن السحر يسبب الخمول وقلة الحيل لدرجة عدم قدرة الشخص المسحور على الحركة أو الذهاب إلى العمل، ويعتقد البعض أن الدق على الخشب يرد العين الحاسدة التي تتسبب بالأذى، كما يضع البعض مصحفاً صغيراً في سياراتهم تفادياً للحوادث والخطر.

وأما فشل العلاج المتبع للشفاء من الأمراض فيعلل الأفراد سبب ذلك من خلال الاعتقاد بأن المريض ارتكب المعاصي أو قطع صلة الرحم فتسبب ذلك في عدم شفائه، في حين أن هناك معتقداً آخر يفسر مرض الرجل أو الرضيع، ويقول هذا الاعتقاد بأنهم مصابون ب "التابعة"، وهي نوع من الجن تسكن الرجل وتتزوج منه، وأما الرضيع فتتسبب ببكائه طوال الوقت وقد يكون عرضة لتغير في خلقته البيولوجية، ويعتقد الناس " أن الحامل إذا اشتهت شيئاً، ولم تأكل منه، وحكت في مكان ما من جسمها، فإن الذي تشتهيه، يظهر في مولودها، في المكان الذي حكت فيه" (مجلة الفنون الشعبية، ١٩٧٦، (١٢٥)).

كما يعتقد الأفراد في مجتمع البحث أن التعرض للبرد المفرط يؤدي إلى حالة عدم التوازن الصحي الذي يتسبب بالمرض، ولعل أهم ما يؤكد هذا الاعتقاد ما يقوله الأفراد أن "البرد سبب كل علة"، حيث يعتقدون أن البرد سبب لكثير

من الأمراض فيحذرون أبناءهم من البرد الشديد وينصحونهم بالتوقي منه، بينما الإصابة بالبرص فمرده إلى الاعتقاد بأن الفرد المصاب تناول سمكة من النهر وهو سمك "السلوري" بالتحديد، وهذا النوع من السمك باعتقادهم هو الذي أنكر لون جلد المريض، وهناك معتقد لدى النساء يحثهم على إتمام عملية الولادة حتى تدفن المشيمة، اعتقاداً منهن أن عدم دفن المشيمة قد يجعل المرأة غير قادرة على الإنجاب مجدداً، أو قد يؤثر في خصوبتها فتصاب بالعقم، لذلك تحرص الكثير من النساء على إتمام عملية الولادة على أيدي القابلات التقليديات اللاتي يكن على دراية جيدة بمعتقداتهن الثقافية، ويقمن بدفن المشيمة بمجرد الولادة تجنباً لتأثيرها الضار من وجهة نظرهم.

وهناك اعتقاد يقول إن طقطقة الأصابع قد يتسبب بالتهاب المفاصل، لذلك يحذر الكثير من هذه العادة، رغم أنه علميا لا يوجد ما يربط بين التهاب المفاصل وطقطقة الاصابع.

كما يحذر كبار السن من ضرورة البسملة وهي قول " بسم الله الرحمن الرحيم" عند سكب الماء ليلاً لأنه قد يؤذي الجن فيتلبس الإنسان ويتسبب له بالمرض والأذى، وينصحون أيضا بتبخير البيت، فحسب الاعتقاد أن تبخير البيت بالبخور أو حرق ورق الغار يطرد الجن والشياطين ويبعد العين الحاسدة التي تتسبب بالمرض والأذى.

وفي الآونة الأخيرة عند انتشار فيروس كورونا اعتقد الكثير من الناس أن أخذ اللقاح الخاص بهذا الفيروس قد يؤدي إلى الإصابة بالمرض نفسه، وعلى الرغم من رفض هذا الاعتقاد من قبل الأطباء وتشجيع الأفراد على الحصول على اللقاح وفرض معظم الحكومات على أفرادها الحصول على هذا اللقاح، إلا أن الكثير من الأفراد رفضوا ذلك اتباعاً لاعتقاداتهم، مع العلم أنه في الحقيقة قد يتسبب هذا اللقاح ببعض الآثار الجانبية كالألم والإصابة بحمى خفيفة وهذا شيء طبيعي.

٣-أسباب المرض من وجهة نظر المعتقد الشعبي:

إن وجهة نظر الطب ترجع جميع الأمراض إلى الأسباب الفيزيولوجية و البيولوجية، ولكن تلك النظرة قد تغيرت حالياً بسبب اعتراف معظم الأطباء بالأسباب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية للمرض، ففي الآونة الأخيرة لم تعد دراسة الأمراض والقضايا المتعلقة بالصحة قضايا طبية فحسب، بل دخلت الدراسات الأنثروبولوجية الطبية من أوسع الأبواب في مجال معالجة قضايا المرض، وخاصة بعد ما أدرك الأطباء أن المرض لا يرجع فقط لتأثير العوامل البيولوجية، بل تلعب العوامل الثقافية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والبيئية دورها الفعال في حدوث الأمراض للأفراد، فجميع تلك العوامل تلعب دوراً لا يمكن إغفاله في تحديد الحالة الصحية والمرضية، فالموروث الثقافي الشعبي المتمثل بالمعتقد الشعبي هو المسؤول في المقام الأول عن تشكيل تصورات الأفراد حول مسببات الأمراض والطرق التي يلتمسونها لعلاج أعراض مرضهم في ضوء تصورهم لمسبباته، إذ إن المعتقد الشعبي يجد تفسيراً ويحدد أسباباً عديدة لكثير من الأمراض وفي الوقت نفسه يقدم علاجات مناسبة لكل مرض على حدة.

الأسباب التي يرجع إليها المرض من وجهة نظر أفراد مجتمع البحث وفقاً لمعتقداتهم:

-**القدر**: إن المرض قدر من أقدار الله يعترض حياة الإنسان في أية مرحلة من مراحل حياته، إنه لا يفرق بين صالح وغير صالح، بين غني وفقير، بين صغير أو كبير، لذلك فإن العلاج أيضاً مرهون بقدر الله

عز وجل، وإن الله إذا أحب عبدا ابتلاه، وتصديقاً لما ذكرناه قوله تعالى: " وكان أمر الله قدراً مقدوراً" (الأحزاب: ٨٣).

-**الإثم أو الذنب و الخطيئة:** يرجع الكثيرون سبب المرض إلى إثم ارتكبه الإنسان في حياته، فلذلك يصاب بمرض ما عقاباً له لمعصية الله، فيعتقدون أن الذنوب هي السبب في حدوث المرض، فما أصيب الإنسان بمرض إلا بذنب لأن الذنوب تكفر بالمرض، قال الله تعالى: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" (الشورى: ٣٠).

-**السحر:** يعد السحر من التفسيرات الأولية للأمراض والعلاج منه في آن واحد، والتي يعتقد بها بشكل واضح أفراد مجتمع البحث، فأول ما تظهر أعراض المرض سرعان ما يتبادر إلى الأذهان أن الشخص المريض أصيب بالسحر، ويعود ذلك إلى الاعتقاد بوجود قوى فوق طبيعية لها قدرة في السيطرة والتحكم بأوضاع الناس ورغباتهم وتوجيهها، حيث كان " الناس قديماً يعزون سبب كثير من الأمراض إلى تأثير السحر، بل ربما رأوا في السحر سبباً للموت في كثير من الأحيان" (مجلة المورد، ١٩٧٩، (٥٩٣)).

-**تابعة الجن:** وتعني أن "جنياً" أو "جنيةً" يتسلطون على جسم الإنسان خارجه وداخله مسببون الكثير من المشكلات النفسية والعضوية والاجتماعية، فهي تتبع الإنسان في سلوكيات معينة، ويمكن أن نلاحظ تأثيرها على جميع البشر وفي جميع الأعمار، فهي تصيب الذكور والإناث الصغار والكبار منهم.

ويسود الاعتقاد أن الشخص "قد يصاب بمس من الجان، وقد يصل الأمر إلى مكوث وبناء الجن في جسم الشخص وتقمصه والسيطرة عليه وإصابته بالأمراض" (السهلي، الباش، د.ت، (٧٦)).

-**التنشئة الاجتماعية:** تعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، وبالتالي فهي المسؤولة عن إكسابه العادات والتقاليد المتعارف عليها ضمن جماعته وتهيئته للحياة الاجتماعية فيها، فتقوم بوضع اللبنة الأولى في تعويده على العادات الصحية كالتغذية الصحية من خلال التركيز على تناول الأطعمة عالية القيم الغذائية كاللحوم والحليب والبيض والأسماك وغيرها، وعادات النظافة والطهارة والرياضة أيضاً، وتلعب الجزء الأكبر من الدور الإرشادي العلاجي والوقائي من خلال تعليمهم كيفية إدراك ما هو صحي وما هو غير صحي، كما أنها تقوم بأعظم مهمة وهي مساعدة المريض على اجتياز محنته والتخفيف من آلامه فتطرق أكثر من باب للعلاج والحصول على أنسب طرق العلاج، وهكذا فإن "التوجهات والإرشادات التي تزودون بها الحياة الاجتماعية ، ونتعلمها عن طريق التنشئة ، تساعدنا على فهم ما غمض علينا ، واستيضاح ما استغلق على عقولنا" (المكاوي، ١٩٨٢، (٨٢)).

٤-توظيف المعتقدات الشعبية في الحياة النفسية والاجتماعية:

إن مفهوم توظيف المعتقدات الشعبية بشكل عام والمتعلقة بقضايا الصحة والمرض بصورة خاصة يتوافق مع فكرة أن ذهن الفرد يتمسك بقوة مع بساطة الأفكار والأشياء والتي تكون بالأصل أقرب إلى الواقع الذي يعيشه، وهي تعبر عن تكيفه مع محيطه في إطار ثقافته ومستوى وعيه وتفكيره، ورفضه لما يثير رعبه وقلقه وخوفه من المجهول الذي يصادفه في الكثير من المواقف، فالإنسان بطبيعته يتكيف مع الأفكار التي يستطيع عقله أن يفهمها ويتقبلها، وأما تلك التي تجعله في حيرة من أمره، أو تجعله يقف عاجزاً عن تفسيرها فإن عقله يتجنبها ويرفضها.

لذلك نجد أن عقلية أفراد المجتمع قد تشبعت بهذه المعتقدات، وأصبحت جزءاً من ذاكرة الأفراد فيما بعد، فالمعتقدات الشعبية تخدم الواقع المعيشي ولعل هذا هو الهدف الأساسي من توظيفها وبقوة في الحياة اليومية، وذلك من أجل تفسير ظواهر الحياة ومعالجة قضاياها العالقة، وأهمها تذليل المرض والتنعم بالصحة والحصول على الراحة

الجسدية والنفسية، وهذا ما أعطاها حظاً كبيراً من التوظيف في الحياة اليومية، وكان النصيب الأكبر لما تعلق منها بالصحة والمرض باعتبارهما أهم القضايا التي استولت على حيز كبير من تفكير الإنسان.

و"الإيمان بقوة الاعتقاد له تأثير قوي في تحول التصور إلى فعل جماعي أو فردي فالاعتقاد كن فيكون، وتعلق الوجود بنظرية الخلق بالكلمة بما بين الكاف والنون، يجعل ظواهر الثقافة الاجتماعية الشعبية تستند إلى مرتكز غيبي فلسفي خاص وقد يتعارض مع المستند العلمي أو شبه العلمي" (خليل، ١٩٧٩، (٩٥)).

وبناءً على ذلك فإن توظيف المعتقدات الشعبية في الحياة النفسية والاجتماعية للأفراد يقتضي الفهم الكلي والعميق للموروث الشعبي المتمثل بالمعتقدات الشعبية المتعلقة بقضايا الصحة والمرض، وكذلك يقتضي فهم كيفية إدراك الناس للدور الفعال الذي لعبته هذه المعتقدات في حياة المريض، وذلك بوصفها سجلاً لمسيرة الإنسان وتجاربه وإنجازاته العلاجية المتراكمة منذ وجوده على هذه الأرض، لذلك توجب توظيف المعطيات النظرية للمعتقدات بطريقة فعلية على صورة ممارسات في حياتهم اليومية، أي تحويل هذه المعتقدات إلى أفعال وسلوكيات يومية، وذلك من أجل تخطي بعض الضغوط النفسية والاجتماعية التي يولدها المرض و تعويض العجز الذي يقف أمامه الأفراد عند الإصابة بالمرض، وهذا التوظيف اتسم بطابع القوة بطريقة طردية مع قوة الاعتقاد من خلال تحول التصورات الاعتقادية إلى فعل فردي أو جماعي، وهذه القوة مكتسبة من إثبات جدارة وصحة هذه الاعتقادات في حل الكثير من المشكلات الصحية وتكرار نجاحها عبر الزمن.

٥-المعتقدات الشعبية التي يتم توظيفها في مجتمع البحث لعلاج المرض والحفاظ على الصحة

- العلاج بالقرآن الكريم:

إن انتشار ظاهرة العلاج بالقرآن الكريم في مجتمع البحث بشكل كبير، وتوافد أعداد كبيرة من أفراد هذا المجتمع إلى الشيخ – هو شخص جليل القدر يحظى بمكانة دينية واجتماعية كبيرة بين أفراد المجتمع- لقراءة القرآن على أذن الشخص تلمساً للشفاء من الأمراض أو طلباً لتحقيق غايات مرجوة، هذا ما دفعنا إلى دراسة هذه الظاهرة ودراسة أبعادها وآثارها الاجتماعية والنفسية على الأفراد، وعند الغوص في دراسة هذه الظاهرة لاحظنا أن العقلية الشعبية للأفراد قد فرضت بعض السلوكيات والطقوس ذات الصبغة الدينية للتخلص من الآلام والشفاء من الأمراض، وأن هذه العقلية دفعت الكثير من أفراد مجتمع البحث للجوء إلى العلاج بالقرآن الكريم وترك الجوانب الطبية الرسمية، وهنا لا بد من التنويه إلى ضرورة التواصل مع الأطباء المختصين مع الأخذ بالعلاج بالقرآن الكريم جنباً إلى جنب للوصول إلى الهدف المنشود وهو العلاج المناسب والشفاء من أمراضهم وآلامهم، فالقرآن الكريم فيه أسرار عظيمة ومعلومات قيمة ومنافع لا تعد ولا تحصى فهو الرحمة وبه نرفع البلاء، فمثلاً سورة ياسين هي قلب القرآن الكريم وقراءتها فيها فرج لقلب الإنسان المؤمن ولهمومه وشفاء لأمراضهم، ومما لا شك فيه أن العلاج بالقرآن الكريم كما يعتقد أفراد المجتمع المدروس بأنه علاج نافع وناجح ويجدون فيه شفاء لكثير من الأمراض كما جاء في قوله تعالى: "ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا" (الإسراء: ٨٢).

إن العلاج بالقرآن الكريم يعد من أهم المعتقدات والتصورات التي تنتشر في أوساط مجتمع البحث، وهو تصور ديني شعبي أيد هذه الأفكار وأثنى عليها وساعد على انتشارها واستمرارها بقوة حتى الآن، وأكسبها شرعية من خلال بعض النصوص القرآنية التالية:

قوله تعالى: "وشفي صدور قوم مؤمنين" (التوبة: ١٤).

وقوله تعالى: "يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين" (يونس: ٧٥).

-العلاج بزيارة مقامات الأولياء الصالحين:

إن الناس يحتاجون إلى الحماية نظراً لشدة الإحساس بالضغط أو العزلة أو المرض في مواجهة المخاطر التي يتعرض لها، فحين يصاب الإنسان بمرض أو بمصيبة ما في نفسه أو ذويه أو رزقه، فالولي هو ملاذهم وشافي لأمراضهم والحامي لهم ولأرزاقهم ولأولادهم فيتقربون إليه، ويتخذونه حليفاً ونصيراً كي يتوسط لهم لدى الله فيحيطهم بعنايته ورحمته، ومن الأفكار المهمة التي يقوم عليها كل دين فكرة القداسة أو الاحترام أو الإجلال التي يعلقها الإنسان على بعض الأشخاص أو الأماكن.

فزيارة أضرحة الأولياء الصالحين واللجوء إليهم لطلب الشفاء من الأمراض والعون لحل مشكلاتهم والتوسط لهم عند الله سبحانه وتعالى، اعتقاد منتشر انتشاراً كبيراً بين أفراد مجتمع البحث، فيعتقدون بأن الأولياء لديهم القدرة التي تمكنهم من معالجة المريض وإرجاع الغائب وزيادة الرزق وتزويج العازبين وجعل العاقر تلد، وغيرها من أمور الحياة التي تشغل بال وتفكير الإنسان، ويزداد التعلق بالأولياء الصالحين عندما تضيق الدنيا في وجه الإنسان وتزيد همومه ولم يجد حلاً أمام الفشل الذي يواجهه، وحين خوفه من أن يخسر شيئاً غالياً عليه، لذلك انتشرت وبكثرة ظاهرة التعلق بالأولياء الصالحين واللجوء إليهم لاستجلاب الخير وإبعاد الشر، وخاصة حين يعم الإحساس بالعجز وقلة الحيلة.

إن الاعتقاد في بركات وقدرات الأولياء الصالحين على الشفاء وفي كراماتهم العليا عند الله، يحث الأفراد على زيارة أضرحتهم إذا ما أصابهم مرض طلباً منهم الشفاعة من الله بغية الشفاء من أمراضهم وإيجاد حلٍ لمشاكلهم، ولكي يتم ذلك يجب أن يكون الفرد مؤمناً كل الإيمان بالأولياء الصالحين وبقدراتهم وإلا لا تنفع زيارتهم، ومن عبارات التحذير لذلك " اعتقد ولا تنتقد".

-العلاج برمل البحر:

يلجأ أفراد مجتمع البحث إلى رمل البحر لمعالجة آلام المفاصل بشكل خاص، حيث يقوم الإنسان المريض بدفن جسده بشكل كامل ما عدا رأسه في رمال البحر الجافة والساخنة لفترة زمنية، وهذا يعرف باسم "الدفن" أو حمامات الرمال الساخنة، ثم يقوم بالسباحة في مياه البحر، وتساهم هذه الطريقة في القضاء على آلام المفاصل والتشنجات العضلية ولين العظام وأوجاع الروماتيزم، كما تساعد في علاج بعض الأمراض الجلدية كالصدفية.

وهذه الطريقة قديمة جداً تعود إلى زمن الفراعنة وذات جدوى وفعالية كبيرة في العلاج، لذلك يعتمد عليها الكثير من أفراد مجتمع البحث بشكل خاص على اعتبارهم يعيشون في مدينة ساحلية "مدينة طرطوس"، كما يستخدم رمل البحر في العناية بالجمال، حيث يساعد على تقشير البشرة ونقائها ويمنحها ملمساً ناعماً، فتقوم الفتاة بفرك الرمل على الوجه واليدين والرجلين بطريقة دائرية للحصول على بشرة بيضاء ناعمة وصافية.

هذا وإن دل على شيء، فيدل على أن الممارسات العلاجية تمتد وفقاً للعلاج الأيكولوجي وخصائص البيئة المحلية، فالأفراد يعتمدون في علاج أمراضهم على ما تمدهم به البيئة من عناصر كالماء والرمل وغيره، وبالتالي فإن تفاعل الإنسان مع بيئته هو الذي يخلق استجاباته وردات أفعاله والتمسك بمعتقداته الموروثة في بيئته ومجتمعه.

-التداوي بالأعشاب:

أوجد الأفراد من الأعشاب الكثير من البدائل العلاجية الشعبية، منذ بداية الوجود وحتى الآن، وقد ارتبطت علاقة قوية بين الإنسان والأرض وما تنتج هذه الأرض من نباتات للغذاء والدواء على حد السواء، حيث كانت الأدوية في البدايات أغلبها ذات أصل نباتي، فالله سبحانه وتعالى قد أودع مخزوناً علاجياً كبيراً في النباتات والأعشاب.

وما زالت الكثير من المجتمعات العربية والغربية على اختلاف مستويات تطورها وتقدمها تفسح مجالاً واسعاً للتداوي بالأعشاب من خلال التأكيد على أهميته والدعوة للعودة إلى منتجات الطبيعة الخامة، "فبدأت الدعوة إلى العودة إلى الطبيعة في مجالات كثيرة ، حتى إن حزباً تألف في ألمانيا كل برنامجه هو إعادة الخضرة، ومن أوجه العودة إلى الطبيعة أيضاً العودة إلى الطب الشعبي أو التقليدي" (الشناوي، ١٩٨٥، ((٤١)).

يحتوي نموذج العلاج الطبي الشعبي بالأعشاب والنباتات الطبية على منظومة متكاملة من التصورات والقيم والمعتقدات التي تكون فلسفة للحياة وليس مجرد وصفة عشبية علاجية.

لذلك فإن التعرف إلى نسق العلاج البيئي الطبيعي يعدُّ في حد ذاته نداءً للعودة إلى عظمة الخالق، والبساطة والبعد عن التكنولوجيا واستخدام التعقيدات والتركيبات الكيميائية بكافة صورها وأشكالها، فيقبل المرضى على العلاج بنوع من الإيمان والتقوى والعودة للطبيعة والتدبير في خلق الله مع التمتع بهذه الأماكن الطبيعية والميراث الفطري، وما يؤكد كلامنا هو قول أبقراط أنه لا يوجد مرض لا يمكن علاجه بالنباتات؛ مؤكداً ذلك بقوله: "وليكن غذاؤك دوائك".

بعض العلاجات المستلهمة من النباتات والأعشاب التي يتبعها الأفراد في مجتمع البحث :

العسل: يقوم الأفراد بالتداوي بالعسل للكثير من الأمراض وأهمها الرشح والسعال، ويستخدم أيضاً في علاج الحروق حيث يدهن العسل على مكان الحرق عدة مرات يومياً لتجنب حدوث الندبات الناتجة عن هذه الحروق، وينصح بتناول ملعقة من العسل الأسود لمعالجة الحصى الموجودة في الحالب وإنزالها، حيث دلت تجارب الكثير من المرضى على نجاح هذا العلاج.

البابونج: يستخدم البابونج بالعديد من العلاجات ويتمتع بالكثير من الفوائد الطبية، ويستخدم في معالجة الأرق وقلة النوم، كما يعمل على علاج آلام الأعصاب وتهدئتها، وله مفعول طبيعي في إزالة التشنج المعوي حيث يقوم على تهدئة المعدة المتهيجة، كما أنه يعد معالجاً للرشح بشكل عام فهو يزيل البلغم ويعالج السعال والتهاب اللوز.

الزعتر البري: ينصح بشرب شاي الزعتر في حالات علاج السعال والتهاب البلعوم واللوزات وفي حالات السعال الشديد وينصح باستخدامه في حالات الرشح ونزلات البرد.

النتائج :

١-إيمان غالبية أفراد العينة ذكوراً وإناثاً، على اختلاف مستوياتهم العمرية والتعليمية بالمعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض، وبفاعليتها في علاج الأمراض. وهناك نسبة قليلة من أفراد العينة لا تؤمن بها. وهذا يعطي دلالة اجتماعية عن أهمية هذه المعتقدات في حياة الأفراد لعلاج الأمراض أو للوقاية منها.

٢-للمعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض وظائف نفسية تتجلى في تحقيق الطمأنينة والسكينة للأفراد في مجتمع البحث، واجتماعية تتجلى في وحدة العقل والوعي الجمعي للأفراد بفاعلية المعتقدات في العلاج.

٣- الاعتقاد بفعالية العلاج بالقرآن الكريم وزيارة مقامات الأولياء الصالحين، واعتمادهم كأساليب علاجية استناداً إلى المعتقدات الدينية لدى أفراد مجتمع البحث.

٤-إيمان عدد كبير من أفراد العينة بالعلاج برمل كونهم يعيشون في بيئة ساحلية "مدينة طرطوس"، مما أدى إلى الاعتراف بهذا المعتقد الشعبي واستخدامه لعلاج الكثير من الأمراض كأمراض المفاصل مثلاً.

٥-اعتماد غالبية أفراد العينة على الأعشاب الطبية في علاج الكثير من الأمراض، مما يدل على رغبتهم بالعلاج الطبيعي الآمن بعيداً عن مخاطر الأدوية الكيماوية ومضاعفاتها.

٦-إتفاق أفراد العينة على تبنيهم معتقدات خاصة بالمرض والصحة، واتباعهم الممارسات العلاجية التي تفرزها، مما يعطي دلالة اجتماعية أن هذه المعتقدات تقوم بوظيفة اجتماعية مهمة في حياة الأفراد لا يمكن تجاهلها أو إنكارها.

٧-إجماع أفراد العينة على أن المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض تحقق لهم راحة جسدية ونفسية في آن واحد، وذلك إيماناً بالدور العلاجي الجسدي والنفسي الذي تؤديه.

٨-رضا غالبية أفراد العينة عن تجربتهم بالعلاج الشعبي التقليدي، مما يؤكد فعاليته ونجاح أساليبه في علاج الكثير من الأمراض، الأمر الذي دفع الأفراد إلى الاستمرار باللجوء إليه عند حدوث المرض.

التوصيات:

١- عقد ندوات ومؤتمرات باستمرار، هدفها الكشف عن الأساليب العلاجية الشعبية التي تفرزها المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة، وإلقاء المزيد من الضوء على أهمية إدماج طرائق الطب الشعبي مع الطب الحديث، وذلك لتوفير إمكانية استفادة نوعي الطب من بعضهما ولتطوير الممارسات العلاجية الشعبية.

٢- وضع رقابة صحية على الممارسات العلاجية الشعبية بأكملها، وذلك تفادياً لوقوع أية مخاطر مؤثرة سلبياً في صحة الفرد.

٣- إصدار مجلات وكتب وإقامة الندوات والمؤتمرات الخاصة بالمعتقدات الشعبية الخاصة بالصحة والمرض، والأساليب العلاجية التي تفرزها؛ بهدف الاستفادة منها في علاج الأمراض.

٤- العمل على جمع وتوثيق المعتقدات الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض، والممارسات العلاجية الشعبية في المجتمع السوري، للحفاظ عليها والاستفادة منها.

٥- بناء مراكز صحية خاصة تتوفر فيها الشروط المطلوبة ليمارس فيها الأطباء الشعبيون بكافة مجالات الطب الشعبي مهنتهم ودورهم العلاجي.

المراجع:

القرآن الكريم.

حمزاوي، سعيد. (٢٠٠٦). (صورة المرأة في المعتقدات الشعبية، وقضايا الوطن)، *الملتقى الوطني الأول للموروث الشعبي، الرابطة للفكر والابداع، محاضرات الندوة الفكرية السادسة، مطبعة مزدار للنشر والتوزيع*، الوادي، ٢٠٠٦، ص٧٩.

خليل، أحمد. (١٩٧٩). *سوسيولوجية الثقافة الشعبية*، بيروت، ص٩٥.

الدويبي، عبد السلام. (٢٠٠٦م). *علم الاجتماع الطبي*. دار الشروق للطباعة والنشر، ليبيا.

السهلي، محمد والباش، حسن. (د.ت).*دراسة المعتقدات الشعبية في التراث العربي*، دار الجليل.

السواح، فراس دين الإنسان. (د.ت). *بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني*، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الرابعة.

الشناوي، فهمي. (١٩٨٥). *التداوي بالأعشاب*، مقال منشور بمجلة الدوجة القطرية، العدد (١١٠)، فبراير ، ص (٤١).

الصفدي، عصام حمدي.(٢٠٠١م). *مبادئ علم وبائيات الصحة*. ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

مختار، رحاب. (٢٠٠٨). *الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع* (مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، جامعة المسلية الجزائر.

مصطفى، فاروق. (٢٠٠٨). *الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي*، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية،،ص٢١.

المكاوي، علي. (١٩٨٢). *السياق الاجتماعي للمعتقد الشعبي*. الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، ع٣، دار المعارف، القاهرة، أكتوبر ، ص٨٢.

منظمة الصحة العالمية (٢٠٠١م). *دليل الصحة النفسية للأطباء والعاملين في الرعاية الصحية الأولية*، دمشق.

المجلات والدوريات:

مجلة "الفنون الشعبية" الأردنية، العدد العاشر، أيار، ١٩٧٦م، ص١٢٥.

مجلة "المورد" العراقية، المجلد الثامن ، العدد الرابع، ١٩٧٩ م، ص ٥٩٣.

المراجع الأجنبية:

Foster, G. M. and Anderson, B. G. (1978). Medical Anthropology. New York: Wiley, pp. 2-3.

الرسائل الجامعية:

بدر الدين، مسعد. (٢٠٢٢). التمثلات الطبية ودورها في توجيه الممارسات العلاجية في المجتمع التبسي –كوفيد ١٩– أنموذجاً، الجزائر.

بوغديري، كمال. (٢٠٠٩). أشكال الطب الشعبي بمنطقة الزيبان بسكرة، الجزائر.

حركات، بن آسيا. (٢٠١٥). التحليل الاجتماعي والثقافي لممارسة الطب التقليدي، الجزائر.

مختار، مختار. (٢٠٠٨). الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع (مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية)، جامعة المسلية الجزائر.